

فيها قبل رسالته، أم فيها قبل ولاية عزمه، أم وفي ولاية عزمه، فعلى أية حال لا يبقى إشكال في كيف يتعلم موسى من خضر؟ فإن ولاية العزم في الشريعة الظاهرة لا تلزمها الولاية الباطنة مهما تجتمعان في البعض من أولياء العزم كالرسول محمد ﷺ .

ولكن الرقابة على تكاليف الشريعة تنتج نورانية في الباطن ف ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (١) و ﴿إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٢) ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ (٣) فكيف إذا كانت رقابة العصمة في ولي العزم، فليعلم موسى من علم الباطن ما يعلمه خضر وسواه بل وأكثر وأحرى، فكيف يتطلب منه أن ﴿تُعَلِّمِنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾؟

علّه لأنه كما علم الشريعة قد يحصل بتحصيل، وقد لا يحصل إلا بوحى، فما كل متعلم يحاول للحصول عليه يوحى إليه، كذلك علم الباطن منه ما يحصل بتلك الرقابة، ورقابة العصمة أخرى وأجرى للحصول عليه ولكن منه ما لا يحصل برقابة كالعلم الباطن اللدني، فعلم الوحي الشريعة لا يستلزم ذلك العلم اللدني مهما يستلزم علماً دون ذلك، فقد أوتي خضراً رحمة من عند الله وعلم علماً من لدن الله ليس من مخلفات وحي الشريعة والرقابة التامة عليه! .

ولأن ولاية العزم لزامها الحفاظ على حقوق الأمة ومصالحها في الباطن كما الظاهر، فليعلم موسى الرسول في ولايته العظيمة العزيمية، تأويل قضايا كمثل السفينة والغلام والجدار، فقد يحتمل أن القصة كانت في بداية أمره ولما يعظم ويعزم أمر رسالته القمة - والله أعلم حيث يجعل رسالته! .

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢ .

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩ .

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨ .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ

حُقُبًا ﴿١٦﴾﴾:

مجمع البحرين هو عنوان ملتقاه مع خضر كما أوحى إليه ولكن موسى لا يعرفه بتفصيل، فلو كان عارفه فلماذا ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ سنةً إلى ثمانين وكما جاوزه إذ نسيا حوتهما، فقد يعرف أن فيه ملتقاه وأنه في سفرته هذه يمرّ عليه، كما تلمح له ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ لا «مجمعاً لبحرين» حتى تكون له مصاديق عدة، وإنما قال كغير عارف بالملتقى ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ لأن مجمع بينهما كان متسعاً شاسعاً قد يحتاج الوصول إلى منتهاه إلى أن يمضي حقباً وأقله التأكيد على ذلك التصميم وإن لم يحتج وصوله إلى مضي حقب، فحق لموسى وفتاه لما بلغا مجمع بينهما أن ينسيا حوتهما حيث بهرهما بلوغ المجمع نظراً الملتقى، وأما فتاه فزاد نسياناً على نسيان لما أويا إلى الصخرة.

موسى الرسول ما كان يعرفه بعينه، ولا أن القرآن عرفه لنا، فما لنا من سبيل إلى معرفته القطعية إلا حدسيات: إنه منطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر كملتقى بحري الروم والقلزم أي الأبيض والأحمر، ومجمعهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التسماح، أو مجمع خليجي العقبة والسويس الأحمر، أو ما ينتهي إليه بحر الروم من الجانب الشرقي وبحر الفرس من الجانب الغربي أماذا؟

إلا أن مسرح تاريخ بني إسرائيل المعلوم لدى الجميع يختلف عن مسرح موسى الرسول (صلوات الله عليه) الخاص به، وهو لا يعرفه بتفصيل، وإلا فلماذا ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾؟ فلنترك ما تركه القرآن ونسكت عما سكت الله عنه، وقصارى ما يعرفه موسى من ذلك الملتقى أنه مجمع البحرين وفيه حياة الموتى كما اتخذ غداءه الحوت فيه ﴿سَيَلَّهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا...﴾ و﴿عَجَبًا﴾ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا...﴾.

وفتى موسى هو صاحبه الخاص فعَلَّهُ وصيه يوشع بن نون بفتوة صحبة الإيمان^(١) وقد يكون ﴿وَإِذْ قَالَ...﴾ معطوفاً على محذوف يناسبه أم على قصة أصحاب الكهف أن يذكره الرسول ومن معه ذكرى ثانية للرحمة الخاصة الإلهية الحانية على عباده الأخصاء وهو من أخصهم، فلتواتر عليه رحمة من لدنه وعلم من لدنه، ربوة على كل عالم ومرحوم!

ولا ﴿أَبْرَحُ﴾ تصريحاً بملاحقة السير في هذه السفرة إذ يقصد من ورائها أمراً أمير بالحصول عليه إعلاناً لفتاه في البداية استعداداً لوعثاء السفر ونصبه، مهما طال الزمن: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ تعبيراً حاسماً عن تصميمه القاطع، عارفاً صارماً بوصوله عاجلاً أو آجلاً إلى ملتقاه في مجمع البحرين.

وهذه من السنن الحسنة مع رفقة السفر التابعين لك أن تعلن دون إسرار كالشمس في رابعة النهار مسيرك ومصيرك في سفرتك دون تحميل عليهم كما ﴿قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ﴾ دون «لا نبرح حتى نبلغ...» وليجعل صاحبه في سعة من أمره إن شاء لزمه عارفاً بالسفرة وإن شاء تركه.

و﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ يعني لا أزال سائراً مسافراً دونما انقطاع، مما يوحي بأهمية بالغة للهدف المُرام، إعداداً لفتاه إن شاء استعد على علم بهامة السفر ونصبه.

وليبُلِّغُه مدى تصميمه مقصداً وزمناً لأقصى حدّه كما أبلغه ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾! و﴿مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ﴾ هنا هو الغاية القصوى من السفر النَّصَب وليجمع فيه بين بحري العلم الظاهر من موسى والباطن من خضر، أو بحري الرسالة الظاهرة والولاية الباطنة، وكما قال له خضر في ملتقاه «إني وُكِّلتُ بأمر لا تُطيقه وُكِّلتُ بأمر لا أُطيقه».

(١) الدر المنثور في الحديث السابق عنه ﷺ «ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون... وفي نور الثقلين ٣: ٢٧٢ ج ١٣٠ عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان وصي موسى بن عمران يوشع بن نون وهو فتاه الذي ذكره الله في كتابه.

فيا لمجمع البحرين من نبضات الحياة وومضاتها حيث الحوت المطبوخ الغذاء فيه يحيى (١) ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ «وعجباً» وموسى الرسول يزداد حياةً من علم الباطن إلى علمه الظاهر وكما الخضر يزداد علم الظاهر إلى علمه الباطن.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ آئِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ﴿١٨﴾ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ﴿١٩﴾ :

الحوت هو السمك العظيم، والسَّرب هو المنحدر المسبَّل ذهاباً مخيراً، لا سقوطاً أو انقفاً مسيراً، أترى أن حوتهما الغذاء أخذه من مجمع بينهما؟ و﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ عند بلوغ المجمع! فقد كان معهما قبل بلوغه! أو أنه كان حياً معهما في سفرتهما ليطبخاه إذا جاعا؟ ولزامه أن يأخذا معهما ماءً بقدر يكفيه بقية الحياة، وهذا غريب في سفرة كهذه النصب، حملاً لكثير الماء ليعيش فيه الحوت: السمك العظيم ولماذا هذا التعب الشغب نصباً على نصب؟!

حوتهما هذا كان غداؤهما فليكن مطبوخاً جاهزاً لغدائهما حيث السفرة لا تسمح للطبخة ولا سيما تلك الساذجة الناصبة، فقد كان ميتاً مطبوخاً وكما في حديث رسول الله ﷺ (٢).

(١) في الدر المنثور في حديثه ﷺ عن القصة: فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي فاتخذ سبيله في البحر سرَباً. . . وكما في أحاديث عدة ولا نجد في أي حديث أنه كان حياً.

(٢) اتفقت الأحاديث التي تنقل القصة أن الحوت حيي عند الصخرة واتخذ سبيله في البحر سرَباً وعجباً، ولكنها تختلف في أنه كان مشوياً أو مملوحاً وفي مرسله القمي وروايات الشيخين والنسائي والترمذي وغيرهم أنه كانت عند الصخرة عين الحياة وفي رواية مسلم أن الماء كان ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقاربه شيء ميت إلا حيي فلما نزلا ومس الحوت الماء =

ثم ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ تصريحة بحياته، فلتكن بعد موته، إذ لا عجب لحيوان البحر أن يتخذ سبيله في البحر سرباً منحدرًا إليه، بل وتركه عجب^(١).

ترى وماذا كان يدري موسى من الملتقى وماذا لا يدري؟ ﴿حَقَّ أَتْلَعُ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ﴾ دليل أنه كان يدري أن مكاناً من المجمع هو الملتقى، ولكنه أين هو الذي يحيى فيه ميت وما هو؟ لا يدري أنه حوته وإلا لم ينسه! ولم يطلبه بعد ذكره غداء!

فقد ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ فما كان يدري أن الملتقى هو المجمع الذي بلغاه، وإلا لما تجاوزه! ولا أن الذي فيه يحيى هو حوتهما، وإلا لماذا اتخذه غداءهما، ولماذا نسيه؟ معلومان ومجهولان لموسى، وفتاه يجهل ثالثاً هو أن حياة ميت فيه آية أنه الملتقى المبتغى وإلا لما نسيه إذ رأى الحوت ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾!

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾: بين البحرين وبين موسى وخضر، وما درى

= حيي، وفي بعضها أن فتى موسى توضأ من الماء فقطرت منه قطرة على الحوت فحيي، وفي ثالث أنه شرب منه الفتى ولم يكن له ذلك فأخذه الخضر وطبقه في سفينة وتركها في البحر فهو بين أمواجه حتى تقوم الساعة، وفي رابع أنه كانت عند الصخرة عين الحياة التي كان يشرب منها الخضر ثم الباقية خالية من ذكرها -

ثم في رواية الاحتجاج وغيرها أن الحوت سقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، وفي بعض أن موسى لما رجع أبصر أثر الحوت فأخذ أثر الحوت يمشيان على الماء حتى انتهيا إلى جزيرة من جزائر العرب، وفي حديث الطبري عن ابن عباس فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء ويتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة، وفي أكثرها أن موسى لقي الخضر عند الصخرة، وفي بعضها أنه ذهب من سرب الحوت أو على الماء حتى وجده في جزيرة من جزائر البحر، وفي بعضها أنه وجده على سطح الماء جالساً أو متكئاً.

(١) المصدر السابق نفسه.

موسى منه ملتقاه وإلا لما تجاوزاه ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ موسى وفتاه، نسيان موسى كان بطبيعة الحال حيث السالك يركّز على الغاية الملتقى فينسى الغداء أماذا من وسائل اللقاء، ولكنما الفتى لماذا ينسى وقد حمل حمله والحفاظ عليه؟ علّه لأنه يُنابع مسيرة موسى فعلى هامشه ينسى أمام الغاية غيرها! وهذا النسيان المشترك كان عند بلوغهما المجمع.

ثم هنالك نسيان ثان يخص فتاه لما أويا الصخرة ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾: أنسياناً مع موسى فهنالك نسياناً وهنا نسييت؟ فهو إذاً نسيان ثان تدخل فيه الشيطان يخص فتاه: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا...﴾ هنا ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ...﴾ عطفاً على نسيانه، وهناك ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ...﴾ تفريراً على نسيانهما، فبينهما فرق قد لا يكون إلا أن النسيان الأوّل أغفلهما عن كونه معهما ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ...﴾ والنسيان الثاني هو بعد ذكر ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ فالواو إذاً للحال، أنني نسيته حال أنه اتخذ سبيله في البحر عجباً، نسييت أن أذكره بعد ذلك وأذكرك، وعلّه لأنه ما أهمته غداؤهما رغم ذلك العجب أمام غايتيهما القصوى، فقد يُنسى الطريق والرفيق فضلاً عن الغداء أماذا:

﴿فَلَمَّا... نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ استغفلاً عنه إذ لم يكن محوراً في تلك السفارة ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا﴾ لم يدره موسى ودراه فتاه وكما أخبر ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ وترى ما هي سبيله السرب؟ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِيَآ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ فمن الصخرة العالية منحدرٌ يُتخذ إليه سبيلٌ سرب فالسبيل هو الطريق المنحدر، والسرب هنا انحدار ثان يزيد السبيل سُبلَةً وانحداراً.

أو هي عين الحياة المنحدرة من الصخرة إلى البحر^(١) وقد حيي بها

(١) في عديد من الروايات أنه عين الحياة كما في نور الثقلين ٣: ٢٧٢ ح ١٣١ في عيون الأخبار=

الحوث فاتخذها سبيلاً؟ أم ساقية أخرى وقد حيي بغيرها؟ أم قفزة من منحدره أم لزقة فانزلاقاً إلى البحر وبينه وبينه برٌّ أم ماذا؟ على أية حال ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا - مَجْبَأً!﴾

فاتخاذ سبيل سرب عجب ذو دلالات على أن حوتهما الغداء الشواء أصبح حياً على الصخرة على غفلة لموسى وذكر لفتاه، ومن ثم تناساه فنسي أن يخبر موسى بأمره:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ بداية المجمع والسرب العجب ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتْنَةٍ إِنَّا غَدَاءَنَا﴾ الحوت ﴿لَقَدْ﴾ تأكيداً ذا بعدين ﴿لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ فلنتغذى لكي نستجد طاقة بدنية نواصل بها سفرنا، مما يدل أنه كان متغافلاً جوعهما مع نسيان حوتهما، ثم النَّصَب ذَكَرَهُ غَدَاءَهُمَا الحوت فطلبه من فتاه، فإنه التعب المنصوب تأتياً في مُدَاه:

والغداء هي غذاء الغداة، فلعلهما جاوزا مجمع بينهما ليلاً، ولم يعتبره موسى ملتقاه إذ لم ير ما يريه أنه هو ملتقاه حتى أخبره به فتاه:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ المطلّة على البحر، فأنت رأيت إذ أويْنَا إليها تخفيفاً عن وعشاء السفر، أو وانتظاراً علّه هو الملتقى ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ ماذا حصل له وماذا فعل، بعدما نسيناه مع بعض ﴿وَمَا أَسْنِينُهُ إِلَّا

= عن الرضا رضي الله عنه قال: قال علي رضي الله عنه وقد سأله بعض اليهود عن مسائل - وأنتم تقولون: إن أول عين نبعت على وجه الأرض العين التي بيت المقدس وكذبتم، هي عين الحياة التي غسل يوشع بن نون السمكة وهي العين التي شرب منها الخضر رضي الله عنه، وليس يشرب منها أحد إلا حيي؟ قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى ورواه مثله في كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى أبي الطفيل عامر بن واثلة عن علي رضي الله عنه وفيه أيضاً بإسناده إلى إبراهيم بن يحيى المدائني عن أبي عبد الله رضي الله عنه حديث طويل يقول فيه رضي الله عنه أن علياً... وفيه أيضاً بإسناده إلى الحكم بن مسكين عن صالح عن جعفر بن محمد رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه أقول: على اختلاف في بعض الألفاظ واتفاق في عين الحياة:

الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ ﴿١٠﴾ واتخذ: حال أنه ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ نسيان عجب بعدما رأته اتخذ سبيله في البحر عجباً حيث الحوت الميت المطبوخ يمشي في سبيله السرب إلى البحر! ولم يكن نسياناً مني تغافلاً عن أمره العجب وإنما ذلك الشيطان أنسانيه أن أذكره فاذكرك بسربه العجب.

أفترى الشيطان له سبيل إلى الأنبياء، وكان فتاه يوشع منهم؟ علّه لم يكن حينذاك نبياً، فقد كان وصياً ثم بعد موت موسى أصبح نبياً وصياً! أم بقي وصياً دون نبوة؟^(١).

أم إن هكذا نسيان ليس في عداد نسيان ذكر الرب حتى يُنحى عنه الشيطان، وإنما هو حسب الظاهر نسيان الغداء أولاً ومن ثم نسيان السرب العجب، وقد يبرران أمام الهدف الإمام وهو التحري عن مللقى البحرين، ولم يكن يدري فتاه أن من آيات ملتقاه حياة ميت أو علّها هي منها حتى يتذاكر الحوت، رغم أن سربه العجب هو آية الملتقى:

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰءِآثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (١٤): ذلك البعيد المدى العظيم المحتوى، الملتقى المدلول عليه بآية السرب العجب ﴿مَا كُنَّا نَبِغُ﴾ طول سفرنا ﴿نَبِغُ﴾ هـ - فلنرجع إلى مجمع بينهما من نفس الطريق الذي جئنا ﴿فَأَرْتَدَّا﴾ رجوعاً إليه ﴿عَلَىٰءِآثَارِهِمَا﴾ آثار الأقدام في مشيتهما ﴿قَصَصًا﴾: تتبّعاً لتلكم الآثار كي لا يخطأها.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (١٥):

فيا لوجد الوجدان من شَعْفٍ وشَغْفٍ، ما يُنسى نَصَبُ السفر ووعثاءه، وكيف عرف موسى خضره؟ طبعاً كما عُرِّفَ بوحى الله مكانه، كذلك عُرِّفَ مكانته والمؤمن ينظر بنور الله!

(١) لا دلالة في القرآن ولا في السنّة واضحة أن فتى موسى كان حينذاك نبياً.

تعريف إلهي لطيف بخضر في زوايا ثلاث ١ - ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾
 ٢ - ﴿ءَأَيُّتَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ ٣ - ﴿وَعَلَّمَنَّهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾!

هنالك عبودية في كمالها دون أكملها - فإنه لأوّل العابدين - فرحمة على صاحبها: ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ خاصة، ثم ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ دون تعلم خلقي، إنما علماً لديّنا بوحى أو إلهام ليس في نطاق وحي النبوة لزاماً، إلاّ الأنبياء الأولياء الذين جمعوا علمي الوحي ظاهراً وباطناً كالرسول محمد ﷺ وأضرابه في الوحي القمّة أو إلهامه^(١).

وتلك الرحمة ليست هي العلم لقرنها به، فهي من مدارج الرحمة المعرفية والمعارج العملية، فلقد كانت عبودية ذات جناحين، لا علماً دون معرفة ولا معرفة دون علم، مهما كان علم ظاهر الشريعة تقليدياً عن رسول كما كان هو يقلد موسى الرسول ﷺ، رغم أنه معلمه من علم الباطن وكما قال: «إني وكلتُ بعلم لا تطيقه ووكلت بعلم لا أُطيقه»^(٢) وقال «إني على علم من علم الله علمني لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله لا أعلمه»^(٣).

وقد يكون تنكير ﴿عَبْدًا﴾ هنا للتفخيم كما الإضافة ﴿مِّنْ عِبَادِنَا﴾ للإفاضة والتعظيم.

(١) نور الثقلين ٣: ٢٧٥ ج ١٤٢ في أصول الكافي بإسناده إلى سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله ﷺ جماعة من الشيعة في الحجر فقال ﷺ: علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ثلاث مرات لو كنت بين موسى وخضر لأخبرتهما إني أعلم منهما وأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر ﷺ أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثته.

(٢) نور الثقلين ٣: ٢٨١ ج ١٥٤ في كتاب علل الشرائع عن جعفر بن محمد ﷺ قال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] لأنني وكلت.. وفي البحار ١٣: ٢٧٩ بدل بعلم «بأمر».

(٣) المصدر.

وخضر هذا تتواتر في شأنه الروايات الإسلامية وسواها^(١) وأنه باق إلى قيام المهدي (صلوات الله عليه) ولا تنافي حياته لهذا الحد أصلً من الأصول الإسلامية، اللهم إلا إذا كان نبياً، إلا بانقطاع الوحي عنه يوم نبي الرسول محمد ﷺ حيث لا نبوة بعد نبوته ولا وحي بعد وحيه إلى يوم القيامة، وكما في المسيح ﷺ وهو في السماء حيث ينزل زمن المهدي (صلوات الله عليه)، فالخضر والمسيح وسائر المكلفين أياً كانوا وأيان، إنهم منذ بزوغ الرسالة المحمدية أصبحوا من أمته وتحت لوائه، وهل عزل المسيح عن رسالته بعد نصبه؟ إنه انعزال عن أمته وليس عزلاً! ثم لا بأس بعزل ليس فيه مهانة!

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (١١) :

عند اللقاء الحبيب سلم عليه موسى ﷺ فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى! قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم - أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى! إنني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه^(٢) «إنني وكلت بأمر لا تطيقه»^(٣) :

(١) هنالك في مختلف النقل والتاريخ قبيلات ومقالات حول الخضر لا يهمننا ذكرها إلا ما نبه عليه القرآن في مثلث التعريف بـ ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]!

وقد رويت القصة عن النبي ﷺ كما في الدر المنثور بعدة طرق من أرباب الجوامع كالبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وغيرهم عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ :

(٢) من حديث رسول الله ﷺ وقد ذكرنا شطرات منها.

(٣) نور الثقلين ٣: ٢٧ ح ١٢٨ - القمي حدثني محمد بن علي بن هلال عن يونس قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى ﷺ أيهما كان أعلم وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة الله ﷻ على خلقه؟ فقال قاسم الصيقل: فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا ﷺ يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم فأصابه =